

وفي ختام حديثنا عن هذه المرحلة لا يفوتنا أن نذكر أن الأزدهار لا بد وقد أصاب الحياة الفكرية والعلمية ، فقد نبغ في هذا القرن ابن كمال باشا (ت ٩٤١هـ) وله عدة مؤلفات في الفقه والتفسير ومجموعات الفتاوى وله تفسير لم يتم، وله منظومة «يوسف وزليخا» وقد استحق عن جدارة لقب «مفتي الثقلين». وينسب أبو السعود اقتدى (ت ٩٦٥هـ) صاحب التفسير المعروف باسمه إلى هذا القرن أيضاً وكذلك محمد افندي البركوي (ت ٩٨١هـ) صاحب «وحياتنامة» و «الطريقة المحمدية».

الصراع الحضاري بين الشرق والغرب:

لم تنه الدولة العثمانية باستقرار حكمها في أوروبا سوى قرن من الزمان أو يزيد، إذ سرعان ما كانت أوروبا - وقد أفادت من العلوم التي أخذتها من المسلمين أن هبت قوة فتية تبحث عن أراض تستعمرها، فوجدت في الدولة العثمانية مأربها، لا سيما وأن الأخيرة لم تستطع أن تحتفظ كثيراً بقوتها، ولم تواكب التقدم العلمي، وكانت النتيجة هزائم متوالية على الجبهات مع روسيا تارة ومع فرنسا وانجلترا تارة أخرى، ثم حركات الثورة والنزعات الانفصالية في داخل الولايات، كل ذلك أصاب الدولة بالاضطراب، وبدأ الاحساس بتفوق أوروبا يستولي على النفوس، وبدأ العسكريون الاستعانة بالأجانب في تنظيم صفوف الجيش العثماني وكان ذلك عقب هزيمة الجيش العثماني أمام نابليون إبان الحملة الفرنسية على مصر والشام عام (١٢١٣هـ).

وهنا بدأ الأديب يقف موقف المفكر والناصح فغلبت النزعة الفكرية على انتاج القرن الحادي عشر الهجري، وظهر في الشعر ما عرف بشعر الوصايا وكان رائده يوسف غفار زاده (نابي) (١٠٥٠هـ) ثم شعر العبادات وقدم لنا نماذجه اسحق الزنجاني (١٠٩٠هـ) ، وزادت وتنوع الأشعار ذات الموضوعات الدينية فظهر شعر المناسبات مثل الذي يلقي عادة بحلول رمضان ويُسمى بالرمضانيات، والعيديات ... الخ.

وخلف هذا القرن أعمالاً موسوعية كان لها أثرها في الثقافة الإسلامية فقدم كاتب جلبي - عدا مؤلفاته في التاريخ والجغرافيا والفلك - «كشف الظنون» الذي ما زال مرجعاً هاماً لكل باحث في التراث الإسلامي. ومن أعلام هذا القرن أيضاً، أوليا جلبي (ت ١٠٩٤هـ) الذي يعد رائد أدب الرحلات عند الترك، ويعد كتابه (سياحتنامه) مرجعاً هاماً للبلدان التي زارها، إذ كان مدققاً فيما قدم من (معلومات وكان أسلوبه رائعاً فيما وصف.

توالت حملات التغريب على المستوى الاجتماعي والثقافي، وبلغت

سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي من السفن البرتغالية وجُدت كافة موارد الدولة للبناء والتعمير، وكان النصب الأوفر من هذه الموارد للعاصمة استانبول والتي أصبحت واحدة من أهم المراكز الثقافية الإسلامية فلحقت بالقاهرة وبغداد والحجاز ودمشق، وقد زاد عدد المدارس الدينية بزيادة عدد المساجد.

وانعكس زخرف الحياة المادية على الأدب فشاعت فنون الغزل، والوصف المادي للجمال، وإذا غضضنا النظر عن أثر هذا الأزدهار في رواج الموضوعات الحسية، نجد له أثراً محموداً في تقدم الحركة الفنية في الأدب وثرأ الصورة الشعرية؛ فنجد الشاعر فضولي (ت ٩٦٤هـ) أمير الشعر التركي القديم لا يكفي بوصف جمال الطبيعة في أسلوب تقريره بل يُجسّد عناصرها في صور طريفة:

«فالبلبل مشرك إذ يسجد للوردة، راجياً النجاة، إذ يعبد هذه الأصنام، والنسيم يقف حائلاً دون هذا الفسق» ونجد نظم السيرة النبوية أكثر تطوراً عند الشاعر ذاتي (ت ٩٥٣هـ) والموضوعات الدينية أكثر عمقاً وفكراً عند محمود عبد الباقي وقد شاع أيضاً شعر الفتوحات وتمجيد

صفات البطولة والفروسية وقد ارتاد هذا النوع من الشعر الشاعر باقي السابق ذكره، وروحي البغداد (ت ١٠١٤هـ) الذي يعد من أرباب السيف والقلم فقد كان من فرسان الجيش العثماني، لذا كانت أشعاره في الحماسة تعبر عن تجاربه الذاتية فنجدته يفخر بالجنديّة العثمانية قائلاً:

«لا مناص للعدو من سهامنا مهما كان مراوغاً، سهامنا قاتلة كأنها مسمومة الزجاج» ... «حين يرانا العدو الثعلب يخالنا ضباعاً من فرط ما امتلأت أجسامنا بنذب الجروح».

أما شعر وصف المدن والتغني بجمالها، فهو من أكثر الأشعار جدة وطرافة في هذا العصر الذهبي، فلم يكن الشاعر التركي المسلم ليدع هذا العمران، وتلك المباني الشاهقة والمآذن السامقة دون أن يتغنى بها ويشيد بأصحابها وقد ارتاد هذا الموضوع الشاعر لامعي (ت ٩٣٩هـ) الذي تغنى بجمال مدينة بروسة، وقد علت فيها المساجد «وغصت بالعلماء، والعابدين» ويدقق الشاعر النظر فيرى اللوحات الخطية الجميلة وقد كست جدرانها فيقول:

«بياض ميمها كأنه غرة على جبين الفلك، وسواد الجيم تخاله طرة على عارض الدهر...» والنماذج كثيرة وكم تذكرنا بنماذج الشعر الأندلسي في وصف المدن.

تأثير الأدب التركي بالأدب العربي بطريقتين : مباشر وغير مباشر

أوجها على الصعيد السياسي بإعلان مرسوم التنظيمات الخيرية (عام ١٢٥٤هـ) وأعقب ذلك ابتعاث الطلاب إلى فرنسا وإنجلترا للاستفادة من علوم الغرب وجاءت الفرق المسرحية تحبب البلاد وتقدم تمثيلات يشترك في أدوارها الرجال والنساء.

اضطلع الأدباء - في هذه المرحلة التي عرفت بعهد التنظيمات - بدور حضاري مزدوج فكانوا يعترفون القراء بما هو جديد في أوروبا، ويترجمون المؤلفات الفرنسية وكانت الصحافة رائدة في هذا المجال، بل وبدأت تنقل أخبار ما يدور في أوروبا إلى استانبول، ومن ناحية أخرى كان على هؤلاء الأدباء أن يقوموا بالدفاع عن القيم الإسلامية، ولعلنا نستطيع القول بأن الأدب التركي في ذلك الوقت سار في ثلاثة اتجاهات:

الأول: النقد الاجتماعي، ومن أمثلته ما قدمه رواد التجديد الأدبي من مسرحيات وقصص؛ فمسرحية «زواج شاعر» لإبراهيم شناسي كانت نقداً للزواج عن طريق الخطابة، وكانت قصة «انتباه» لناثق كمال (ت ١٣٠٦هـ) و «غرام العربية» لرجاني زاده أكرم (ت

١٢٣٣هـ) تبصيراً للشباب المثقف بحقائق الحياة وألا ينساقوا وراء الانحيلة المريضة. لم يأل أحمد مدحت جهداً - في رواياته - في نقد كل أوجه القصور في الحياة الاجتماعية ولا سيما ما هو ناجم عن تقليد الغرب.

الثاني: حماية القيم الإسلامية، وقد تبنى هذا الموقف الروائي أحمد مدحت (ت ١٣٤١هـ) من خلال رواياته التي سخر فيها من شخصية المتفرنج وهاجمها في عنف واصرار، كما استبسل في الدفاع عن الإسلام في مؤلفات أفردتها للرد على المستشرقين.

الثالث: الدعوة إلى الجامعة الإسلامية وقد ردها الأدباء من خلال مقالاتهم في الصحف، وفي رواياتهم ومسرحياتهم أيضاً وقد بدا ذلك واضحاً حين استلهم الشاعر عبد الحق حامد (ت ١٣٥٦هـ) تاريخ الأندلس، وكتب خمس مسرحيات بدأها بـ «طارق» أو «فتح الأندلس» وفيها صور الفتح الإسلامي وأبرز الأخلاق الإسلامية التي ينبغي أن يتحلى بها كل قائد مسلم.

وانتهت بـ «نظيفة» التي رثى فيها الأندلس وشخص الأمراض التي تصيب الأمم وتؤدي إلى انهيارها. وبقدر ما كانت هذه المسرحيات تمجيداً لصفحات ناصعة في التاريخ الإسلامي، كانت اسقاطاً للماضي على واقع الدولة العثمانية آنذاك.

ويُسجل للأدباء الترك في هذه المرحلة أنهم أجادوا استغلال الفنون الجديدة عليهم - آنذاك - مثل القصة والمسرحية والمقال الصحفي في شرح آرائهم ومعالجة قضايا المجتمع أثناء فترة التحول.

الحل الإسلامي للخروج من الأزمة:

مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع العشرين زادت ضراوة الحملات الصليبية ضد العالم الإسلامي، كما زادت حدة الأزمات الداخلية في الدولة العثمانية ونتيجة لذلك ظهرت الاتجاهات السياسية التي تدعو إلى الإصلاح وكان من الطبيعي - إزاء تفوق أوروبا - أن يبدأ المصلحون بالأخذ عن النظم الغربية فنشأت حركات المعارضة السياسية في الدولة العثمانية وتشكلت الجمعيات السرية في استانبول وأصبح لها فروع في القاهرة وباريس وجنيف، وانتهت المعارضة

بنهاية مأساوية بخلع السلطان عبد العزيز (١٢٧٧-١٢٩٣هـ) ثم تولى بعده السلطان مراد (١٢٩٣-١٢٩٣هـ) ولم يعمر طويلاً ليأتي بعده السلطان عبد الحميد (١٢٩٣-١٣٢٧هـ)، ورغم قبوله لإعلان الحياة النيابية لدرء خطر التردّي والإضمحلال، لم تجد هذه الخطوة فتياً وظلت الهزائم تتوالى، وإزاء كل ذلك تعددت الآراء والأفكار الإصلاحية وقد تبلورت في ثلاثة اتجاهات:

١ - العصرية: وهو تطور طبيعي للإحساس بتفوق الغرب وكان يمثلوه ينادون بالأخذ عن الغرب في كل مناحي الحياة.

٢ - القومية التركية: ونادى أصحابه بتوحيد العناصر التركية من جبال القوقاز في آسيا إلى تراقيا الغربية وسُميت هذه النزعة بالطورانية، ودعوا للاهتمام بتنمية العنصر التركي والنهوض به اجتماعياً واقتصادياً.

٣ - الاتجاه الإسلامي؛ وهو تطور طبيعي أيضاً للحركات الإصلاحية على طريقة السلف الصالح وما انفك رواد هذا الإصلاح يطالبون بالعودة إلى التعاليم الإسلامية؛ فلا صلاح بدونها. وقد شملت هذه الدعوة أيضاً توحيد صفوف المسلمين، وجمع شملهم؛ فلا نصر لهم أمام الحملات الصليبية دون الاعتصام بحبل الله.

ويُعد الشاعر محمد عاكف (ت ١٣٥٥هـ) من أقوى النماذج المثلثة لهذا الاتجاه، وقد نشأ نشأة دينية، وإطلع على أعمال المصلحين الإسلاميين آنذاك وترجم للشيخ محمد عبده (١٣٢٣هـ) فتأثر بآرائه.

ولا تكفي هذه العجالة لأن نلم بكل القضايا التي عالجها محمد

القرن العاشر الهجري عصر ذهبي للعثمانيين من نواحي متعددة

قدري وخالدة اديب وغيرهم. وأهم ما يميز هذه الروايات تجسيد البطولات الشعبية في حرب الاستقلال.

مقاومة المذاهب المادية:

جاءت الثورة الكمالية بسلسلة من الانقلابات المتوالية التي استهدفت عزل الأتراك المسلمين عن تراثهم الإسلامي - من ناحية، وفرض الحياة الغربية أسلوباً لحياتهم والزي الغربي زياً لهم وغير ذلك من الإجراءات التي روجت للمذاهب المادية والإلحادية في المجتمع. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تسربت مبادئ الشيوعية فانقسم المفكرون إلى يمين ويسار، وتشعب هذان الاتجاهان بدورهما إلى تيارات مختلفة. وأصبح لكل اتجاه ممثلوه ودعائه في الأدب.

وفي أوائل عهد الثورة لم يستطع المصلحون الإسلاميون أو رواد الاتجاه الإسلامي أن يعبروا عن رأيهم، ولعل قصة كفاح الشيخ سعيد نورسي (ت ١٣٨٠هـ) الذي تتلمذ على مؤلفاته الإسلامية كثيرون وهم يُعرفون اليوم «نور جيلر» وشيوخ الإسلام الذين هربوا من تركيا آنذاك مثل مصطفى صبري، والشاعر محمد عاكف أوضح دليل على القمع الذي مارسه الثورة ضد الاتجاه الإسلامي، بدأ الإسلاميون يعلنون رأيهم في قضايا مجتمعهم مع أوائل الأربعينات من هذا القرن.

وفي خضم التيارات والمذاهب الفكرية الواردة من الغرب، مثل الوجودية والعبثية .. وغيرها استطاع ممثلو الاتجاه الإسلامي، - وهم الامتداد الطبيعي لجذور السلف - أن يتبوأوا مكانهم على ساحة الأدب، ولعل نجيب فاضل قيصم كورك (ولد في ١٣٢١هـ) هو رائد هذا الاتجاه في الأدب التركي المعاصر، وتمثل حياته الأدبية صورة واقعية لرجل المبادئ في عصرنا الحاضر، إذ عاش أزمة المفكر أولاً وعاش فترة من القلق والضياع ثم عاد أخيراً إلى حظيرة الإيمان، فانكب على الدعوة الإسلامية، فدعا في شعره إلى العودة للإيمان ورأى فيه حلاً لكل قضايا العصر، ولجأ في كل ذلك إلى أسلوب رقيق، وصور شعرية معتبرة حتى في مقالاته، ومن طريف حديثه للشباب أن يشبه «الإيمان بعضلات الروح ومن ثم على الإنسان أن يقوته»^١ ويدعو الشباب إلى التزود بالدماء من فصيلة «أ.ر.» أي الله ورسوله. وقد كتب نجيب فاضل العديد من المسرحيات التي عبر فيها أبطالها عن أزمة الإنسان المعاصر وأوضح من خلال أزمت الأبطال النفسية أن الإيمان بالله ورسوله فيه خلاص من كل قلق. ولم يقف نجيب فاضل عند ذلك الحد بل حاول نبش التاريخ ليجلو بعض الحقائق ودافع عن الشخصيات

عاكف في شعره، وأن تتعرف على خصائصه الفنية لذا سنكتفي هنا بالقول بأنه عالج كل القضايا الاجتماعية التي كان يعاني منها المجتمع الإسلامي من منظور إسلامي، وبصر المسلمين بأن الحل بالعودة إلى دينهم، نذكر من ذلك مثلاً؛ هجومه على المقاهي والحانات، ومحاربة الجهل وهجومه على المتفرجين ودعاة التغريب. صور الشاعر كل ذلك في صور شعرية تنبض بالحياة، وصّبها في قوالب شعرية اعتمد في موسيقاه على أوزان العروض العربية في الوقت الذي كان ينادي فيه الشعراء باستخدام الوزن القومي وهو وزن المقاطع. وظل طوال حياته يدعو المسلمين إلى وحدة الصف «فلا حياة للتركي بدون العربي» ونادى بأن تصحو الأمة من غفوتها وإلا «ستقرع أذانها أصوات الأجراس».

أدب المقاومة:

انقضت الطيور الجارحة على الفريسة وقد خارت قواها، لقد خاضت الدولة العثمانية ست حروب كبيرة في فترة لا تتجاوز أربعين عاماً، بدأت بحرب القرم مع روسيا عام ١٢٩٤هـ وانتهت بالحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٢هـ

وكانت نهايتها بانتهاء الحرب، ثم قامت حرب التحرير التركية عام ١٣٣٨هـ لتعلن الانتصار واسترداد الأراضي التركية الحالية ثم أعلنت الجمهورية التركية.

ولم يكن الأدب ليتخلف عن الاضطلاع بدوره خلال هذه الحروب، فدَبَّج الشعراء قصائدهم الحماسية التي يحضون فيها المسلمين على القتال والزود عن الحياض، وقدم الشاعر محمد أمين يورداقول (ت ١٣٦٤هـ) نماذج قوية لهذا النوع، كما عاد الشاعر محمد جلال (ت ١٣٣١هـ) إلى أبعاد الفتوحات الماضية، ونسي ضياكوك ألب (ت ١٣٤٣هـ) إعجابه بالحضارة الغربية التي كشفت النقاب عن وجهها الحقيقي فجعل يحذر مواطنيه من (الانجليزي) «لا تسر في طريق، حذار أن تقتفي آثاره المضللة، أنه لن يسرق نقودك فحسب بل سيسرق روحك».

ولم يتخلف الشاعر محمد عاكف عن هذا الموكب بل كان يطوف الجبهات أثناء حرب الاستقلال واعظاً وخطيباً، ومن وحي هذه الحرب كتب «نشيد الاستقلال» الذي أصبح منذ اعلان الجمهورية النشيد القومي والسلام الجمهوري الذي يحفظه كل طفل وكهل عن ظهر قلب حتى الآن. ورثى الشاعر سليمان نظيف (ت ١٣٤٦هـ) بغداد حين احتلها الأنكليز.

وعالج الروائيون موضوع الحرب في رواياتهم ونذكر منهم يعقوب

عندما انعكس زخرف الحياة المادية على الأدب فشاعت فنون وطرائق جديدة للتعبير

الإسلامية في التاريخ العثماني وهاجم دعاة التغريب.

ومن مآثر نجيب فاضل أنه أصدر مجلة «Biwyuk Dogu» فالتف حولها الأدباء الشبان من ذوي الاتجاه الإسلامي وتربوا على فكره وأسلوبه، فأفرخت هذه المؤسسة الصحفية جيلاً كاملاً من الشعراء الذين واصلوا ما بدأه محمد عاكف، فأصبح الأدب وسيلة فنية للدعوة عندهم.

ونذكر منهم، على سبيل المثال، سرائي قراقوج (ولد في ١٣٥٢ هـ)، وقد أسس بدوره مؤسسة البعث (Dirilis) وأوقف قلمه على خدمة القضايا الاجتماعية من منظور إسلامي ولكن بنظرة أكثر تفاؤلاً من سبقه، وأجرى حواراً مع الرموز الإسلامية في استانبول، ومن جميل ما كتب حواراً مع (السوق المغطى) إذ يقول له:

«قل للملحدين إن يوم الجمعة مقدس مثل الحرية».

وعبر عن تفاؤله في شعر آخر بقوله:

«سعود الميت حياً لينادي من أجل ربيع قادم لا ريب».

وقد أفرخت مجلة البعث بدورها العديد من الأعلام الشابة مثل نوري باك ديل واردم بايزيد وعاكف اينان وغيرهم، ويغلب على شعرهم طابع التفاؤل أيضاً، والأمل بأن المستقبل في تركيا للإسلام؛ فيقول اروم بايزيد:

«سيشرق يوم تهب فيه الرياح ويطوف الغمام، وتغني الأقطار أغنية الرحمة».

وبعد هذا العرض المختضب ألتست معي عزيزي القارئ في أن الأدب التركي لم يتخلف عن موكب الحضارة الإسلامية، بل سار في ركبها، وأنه ظل معبراً عن مسيرة تاريخ الأتراك ودورهم في خدمة الحضارة الإسلامية، فعبر عن الازدهار الذي أصاب الحياة الحضارية في القرن العاشر الهجري، ولجأ إلى النصح وتلقين المبادئ الإسلامية حينما استشعر بوادر الضعف والإنهيار في القرن الحادي عشر، وعبر عن خوف وقلق إبان القرن الثالث عشر، ودعا للحل الإسلامي وفضله على كل الحلول في مطلع هذا القرن، ثم ما هو يدعونا للتفاؤل ويحدوه الأمل في أن تشرق شمس الإسلام على الآفاق بعد أن ظللتها بعض السحب.

مكتبة الرشد للنشر والتوزيع

والتي عودتكم دائماً على تقديم الجديد يسرها أن تضع بين أيديكم نخبة مختارة من كتب التراث والمراجع العلمية والمقررات الجامعية أكثر من أربعين ألف عنوان تحت سقف واحد

مكتبة الرشد: طريقك إلى عالم المعرفة

الرياض - طريق الحجاز - جنوب أسواق عتيقة

هاتف: ٤٥٨٣٧١٢ - ٤٥٩٣٤٥١ فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

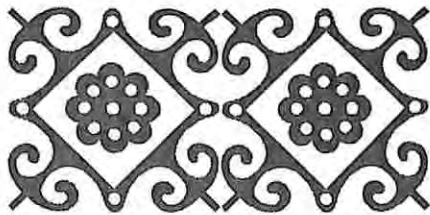
فرع القصيم - بريدة ت: ٣٢٤٢٢١٤ فاكس: ٣٢٤١٣٥٨

مَنْ لِلسَّلامِ؟! ..

شعر الدكتور / محمد بن سعد الدبل

تُطعمون الرِّصاصَ شيخاً وطفلاً
كيف بالأُمِّ والعذارى الملاح؟
والشَّبابُ الأبيُّ أودعتموه
في سجونٍ تراحت باجْتِياح
وأباهُ الرجال أو ثقتموهم..
وَوَكَلْتُمْ تعذيبهم للوقاح
وتشفيتُم بقتل الأسارى
ما لهم في سُجونكم من براح

أيُّ شيءٍ بَنَيْهِ أو نَفَتَدِيهِ
والمآسي تجتاحُ كُلَّ النُّواحي
ربُّ من للسَّلام إن صال كُفْرًا؟
غيرُ دينٍ متوجِّجٍ بالصَّلاح
فَأَجِرْ أُمَّتِي وَحَقِّقْ مُنَاهَا
بانتصارٍ وقوَّةٍ وفلاح.



لغةُ الشَّعر والقوافي سلاحي
فاتني الرِّكبُ فاندُبِي يا جراحي
اخفض الصوت فالحروف حيارى
شدوها طائرٌ مهَيضُ الجناح..
أيُّ برٍّ أَسَدِيهِ إن ظَلَّ خَطْوِي
رهنَ أنشودتي ونَجوى صُداحي

إذا صَوَّتَ النَّذيرُ تناءتْ
كبريائي وأمعنتُ في اطِّراحي
وإذا زَجَرَ الحديدُ توالَتْ
خفقاتُ تُسرُّها أتراحي!!
ما لهذا الوجود؟ ماذا دهاهُ؟
كُلُّ أرضٍ شكَّتْ همومَ النُّواح!!
كُلُّ أرضٍ مما يُثار عليها

من مآسٍ تسربلتُ بوشاح
نثر البغي في حماها لصوصاً
تنتزى في غدوةٍ ورواح
لغةُ القهر نُطقُها وسواهُ

ليس من حكمةٍ ولا من سَمَاح

أيُّها الناعقون بالعدل مكرراً
كيف تَعُدُّون بالقنا والرماح؟

القصة القرآنية

* تأليف الأستاذ : فتحى رضوان

القصة
تأليف فتحي رضوان

* عرض د. عبد الجواد المحمص

يُمد الكاتب الأستاذ فتحي رضوان واحداً من الدارسين الذين عُنى بدراسة القصة القرآنية، والكتابة عن مزاياها وخصائصها البيانية الأدبية الرفيعة، وقد أصدرت له مطابع «دار الهلال» في مصر كتاباً صغير الحجم، كبير القيمة بعنوان «القصة القرآنية».. والكتاب -في أصله- مجموعة مقالات متتابعة نشرها الكاتب على صفحات مجلة (منبر الإسلام) التي يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مصر. ويبلغ عدد صفحات الكتاب مائة وإحدى وستين صفحة.

غير مضمرة.. تأتي خلال القصة حيناً، وقبلها حيناً وبعدها حيناً، وقد ترد وحدها مع رباط يربطها بجملتها من أنباء الرسل، أو بأحد هذه الأنبياء. وهذه الغاية تتكون من عدة عناصر: منها: أن الله واحد لا يتعدد، وأن قدرته غير متناهية، وأن المرسلين أسرة واحدة، يكمل لاحقها سابقها، ويتم آخرها عمل أولها، وأنهم جميعاً من البشر يصطفيه الله لهداية خلقه، ويؤيدهم بالمعجزات، وأن ما يحدث للأنبياء على يد أقوامهم هو سنة من سنن الله الثابتة لأن حكمه الله تقضي بأن يتم نصر العقيدة بعد جهاد ومشقة، فيمحص الله المؤمنين، ويثيبهم على ثباتهم.

ثالثاً: ومن مزايا الكتاب -أيضاً- أنه تضمن فصلاً مستقلاً يتناول مسألة (التكرار في القرآن الكريم) ص ١٠٥-١٢١ فأورد ناذج عديدة من هذا التكرار، وأشار إلى رأي العلماء فيه كالباقلائي وعبد الكريم الخطيب، ثم أوضح أن هذا التكرار من خصائص القرآن ومزاياه، وأنه يختلف تماماً عما نراه من تكرار في أساليب البشر، فالتكرار القصصي في القرآن الكريم يتضمن جديداً كلما قرأناه.. لا يبعث ساماً في النفوس، ولا نفتر له همة القارئ أو الباحث.

لكن كل هذه المزايا في كتاب الأستاذ فتحي رضوان، لا تمنعنا من الإشارة إلى أن الكتاب ليس -كما وصفه المؤلف- بحثاً شاملاً في القصة القرآنية، إذ لو كان كذلك لتناول جوانب أخرى كثيرة، تناولها غيره من المؤلفين والباحثين، وعلى كل حال، فكتاب الأستاذ فتحي رضوان يمثل حلقة مهمة في سلسلة الدراسات المعنية بقصص القرآن الكريم..

أولاً: أن القصة القرآنية عنصر ذو خط في كتاب الله العظيم، وقد أدت فيه أكثر من رسالة، وحقت أكثر من غاية.. أدت رسالة العظة والتوجيه والإرشاد، وهي رسالة كتاب الله الأولى، كما أدت وظيفة التلقين والتعليم، ثم أتاحت لقراء القرآن الكريم نافذة فسيحة، أطلوا منها على تاريخ الأنبياء، وما كان من أساليب دعوتهم، وردود فعل أقوامهم، إزاء هذه الدعوات، وجدلهم، وما كانت عليه دولهم الغابرة، وممالكهم المندثرة من حضارة، وما شرعته من قوانين، وما سنته من أحكام. ثم إن القصة القرآنية قد رقت ذوق العرب والمسلمين، وارتقت بأساليب البيان عندهم.

ثانياً: أن القصة القرآنية تنفرد بخصائص ومزايا كثيرة.. منها:

١ - الإيجاز التام، الذي لا نعرف له نظيراً في آثار الأدباء والمفكرين، مهما سمت مكاتبتهم البيانية، ومقدرتهم البلاغية والأدبية. فالقرآن الكريم يعرض أنباء الأمم الغابرة، وقصص الأنبياء في إيجاز بليغ مؤثر معجز.. ويسرد الأحداث كاملة في أقل القليل من الألفاظ، مع إسقاط مئات من التفاصيل الجزئية، البعيدة عن الغاية من القصة، وجوهر الموضوع..

٢ - الاكتفاء بجوهر الواقعة، وعدم التوقف عند زمن القصة، وتاريخ حدوثها، وأسما الأشخاص والمواضع..

٣ - وحدة الغاية في كل ما ورد في القرآن الكريم من أنباء وأخبار وأحاديث.. وهي غاية معلنة

ومع أن الكتاب يدور من أوله إلى آخره، حول ما عرضه القرآن الكريم عن قصة سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فإنه قدم صورة واضحة المعالم، بيّنة القسّمات، عن خصائص القصة القرآنية عموماً، كما تتجلى في هذه القصة، وتناول الكاتب في ثنايا العرض بعض القضايا المهمة، ذات الصلة بأدب القصة في القرآن الكريم مثل: قضية التكرار القصصي، وانفراد يوسف عليه السلام بقصة طويلة في سورة مستقلة، وصفها القرآن بأنها أحسن القصص..

والكتاب في واقع الأمر ليس عرضاً تاريخياً محضاً لقصة موسى عليه السلام؛ بل هو بحث يتناول هذه القصة من جوانبها التاريخية والأدبية والدينية واللغوية، وهو في مواضع كثيرة منه يجري بحثاً مقارناً بين القصة في القرآن، والقصة في الكتب السأوية الأخرى، وأحياناً يعقد هذه المقارنة بين القصة القرآنية والقصة الأدبية القديمة أو المعاصرة.

على أنه من ناحية أخرى كتاب في بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، وخصائص أسلوبه ومميزات منهجه. وهو يورد آراء كبار المفسرين.. أقدمى ومعاصرين.. عرباً ومشرقين.. أصدقاء للإسلام وخصوصاً له؛ ليضع آخر الأمر تحت نظر القارئ خلاصة من دراسات طويلة، ولكنه يوجزها في هذا الكتاب، ويسرها على القارئ، ويذلل صعباتها.

وفي الكتاب حقائق كثيرة لا بأس من ذكر بعضها في هذا العرض، فمن ذلك: